التراث الخمري الرمزي وبعض أعلامه

يُقابلُ ويساوقُ ماذكرناه عن شعر المجون والخمْر الذى أوغَل فيه بعض أفراد الطبقات المترفة[١] المتأثرة بالبيئات غير الإسلامية[٢] تراث رائع قولاً وفعلا يعبِّر عن أصالة الإسلام وسمو مبادئه، وعمق أثره فى نفوس العامّة والخاصّة من أبناء المجتمع، وصلاحيته لكل أمة وجيل.

تراث تمثّل فى إيمان الجميع بأنّ السعادة الحقّة لاتكون إلا فيما يُرضى الله عبْر الالتزام والتأسّى بما جاء به رسوله من إسْلامٍ لعامة الناس، وإيمانٍ لخاصتهم، وإحسانٍ للمكرمين منهم[٣].

تراث غايته محبةُ الله، ووسيلتُه اتباعُ رسوله[٤] فيما قاله أوعمله أو أقَرَّه[٥]، حيث إنه أُنزل عليْه القرآن ليبيِّنه للناس[٦]، وليخرجهم به وبحديثه هو من الظُّلُمات إلى النور[٧]، ومن الضّلال إلى الهدى[٨]، تاركهم بذلك على المحجَّة

---

(١) العصر العباسى الأول والثانى ص ١٠٤/ ١٠٥، ٤٧٣، وعصر الإمارات (الجزيرة العربية) ص ٤٠٦/ ٦١٧.

(٢) راجع ماسبق أن ذكرناه فى هذا المؤلف.

(٣) إشارة إلى ماورد من أن جبريل عليه السلام سأل سيدنا محمدًا ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ـ فقال له عن الأخير: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران ـ الآية ٣١].

(٥) إشارة إلى أن الحديث النبوى إمّا قول أو فعْل، أو إقرار.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل ـ الآية ٤٤].

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة المائدة ـ الآية ١٦].

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة ـ الآية ٢].

البيْضَاء التى لا يزيغ عنها إلاّ هالك[٩]، ولايحيدُ عنها إلا من سبق فى علم الله أنّه من أهْل النار[١٠]، ومن أصْحاب الشمال المرموز به للعَمَى والإعراض عن ذكر الله[١١]، ومن المتهافتين كالفراش على النار مع أخذ رسول الله ﷺ بحجزهم عنها[١٢]، وممّن اجْترحوا السيئات[١٣] وحادُّوا الله ورسوله[١٤]، ومشوْا مكبِّين على وجوههم[١٥]، ظالمى بذلك أنفسهم[١٦]، متّخذين من الشّيطان والهوى إلـهًا[١٧]، ومن الحجارة نموذجًا فى القسوة[١٨]، ومن الأنعام مثلاً أعلى فى السيْر دون قلب يفقه، أو عين تبصر، أو أُذن تسمع[١٩]، أو عقْل يعى[٢٠].

---

(٩) إشارة إلى حديث نبوى ورد بهذا المعنى.

(١٠) إشارة إلى ماجاء فى حديث نبوى جاء فيه: إن أحدكم ليَعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع... إلخ.

(١١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [سورة الواقعة ـ الآية ٤١].

(١٢) إشارة إلى حديث نبوى ورد بهذا المعنى.

(١٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [سورة الجاثية ـ الآية ٢١].

(١٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [سورة التوبة ـ الآية ٦٣].

(١٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك الآية ٢٢].

(١٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء ـ الآية ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل ـ الآية ٢٨].

(١٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان ـ الآية ٤٣] وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية ـ الآية ٢٣].

(١٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة ـ الآية ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر ـ الآية ٢١].

(١٩) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف ـ الآية ١٧٩].

(٢٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان ـ الآية ٤٤].

إنه التراث الذى تعاون لغرسه فى نفوس الأمة طوائف العبّاد والزهاد، والعلماء، والعارفين بالله، وأهْل الورع، والنّسك من المحدِّثين والوعّاظ، والفقهاء، والمفسّرين، والقراء، والقصاص، وغيرهم مستقطبين بذلك جماهير الناس وأصْحاب الفطرة السليمة من ناحية[٢١] والخلعاء، والمجّان، وأهْل الفسْق، والخمر، والفجور، من ناحية أخْرى[٢٢]، مبعدين أنْفسهم عمْدًا عمَّا يتكالب عليْه غيرُهم من مناصب وجاه ومتعة، نافرين من الوقوف على أبواب الحكام والقواد، أوْ حتّى التقرب منهم، راضين من العيش بالكفاف[٢٣]، ومن الأهواء البشرية المتعددة بهوى واحد يمثِّله قولهم وهم يخاطبون المولى جلا وعلا:

كانت لقلبى أهْواء مفرّقة ... فاسْتجْمعتْ مُذْ رأتْكَ العينُ أهوائى[٢٤]

وقولهم:

أُحِبّكَ حُبَّيْن: حُبَّ الهوى ... وحبًّا لأنّك أهْل لذاكا[٢٥]

وقول أبى الحسين سحْنون الخواص:

وكان فؤادى خاليًا قبْل حبِّكم ... وكان بذكْر الخلق يلْهُو ويمْزح
فلما دعا قلبى هواك أجابَه ... فلستُ أراه عن فنائك يبْرح
رُميت ببيْن منْك إنْ كنتُ كاذبًا ... وإنْ كنتُ فى الدنيا بغيْرك أفْرح
وإنْ كل شىء فى البلاد بأسْرها ... إذا غبتَ عنْ عيْنى بعينىَ يلمح

---

(٢١) عصر الدول (الجزيرة العربية) ص ٢٧٥.

(٢٢) العصر العباسى الأول ص ٤٠٠/ ٤٠١، والثانى ٤٧٤، وعصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران) ص ٤٠٦، وفيه أنه فى سنة ٤٩٦ توفى ببغداد واعظ كبير هو أرْدشير بن منصور، وبوعظه حلق أكثر الصبيان رؤسهم، ولزموا المساجد، وبددوا الخمور، وكسّروا الملاهى. راجع حكايات الصالحين لليافعى ص ٧٩، وفيه أن شارب خمر من علية قومه أقلع عن الخمر هو ومغنيته باستقطاب شاب لهما وتلاوته آيات قرآنية أمامها بدلا عمَّا كانا فيه من غناء ولهو.

(٢٣) العصر العباسى الأول ٤٠١/ والثانى ١٠٦/ ٤٧٣.

(٢٤) مشارق أنوار القلوب وحكايات الصالحين لليافعى ص ١٦.

(٢٥) العصر العباسى الأول ص ٤٠٢ وحكايات الصالحين ص ٤١.

فإن شئت واصِلْنى وإنْ شئت لاتَصِل فلستُ أرى قلبى لغيرك يصْلح[٢٦]

تراثٌ بدا فى صورة تصوّف فرْدى، عبّر فيه أفْراده عن محبتهم لله فى أقْوالٍ نثرية وشعرية كانت تحمل الطابع الرمزى والمعنى العرفانى[٢٧]، أذكر منها ولأعلام بعض مشاهيرها ما يلى :

كتب يحيى بن معاذ إلى البسْطامى (المتوفى سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م) مانصه:

«سكرتُ من كثرة ما شربت من كاس محبة الله». . فأجابه البسطامى: غيرك شرب بحور السمٰوات والأرض وما روى بعْدُ، ولسانه خارج من العطش، ويقول هل من مزيد»[٢٨].

ويقول الإمام الجنيد (المتوفى سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م) :

مالى جفيت وكنت لا أجفى ودلائل الهجران لا تخفى
وأراك تسقينى وتمزجنى ولقد عهدتك شاربى صرْفًا[٢٩]

ويقول الجنيْد أيْضًا: للموحّد وقتان لاثالث لهما: سكر وصحْو، فالسكر ملاحظة الحق على دوام الوقت، والصّحو الغناء عن الحق بالحق[٣٠].

---

(٢٦) العصر العباسى الثانى لشوقى ضيف ص ٤٧٧، هذا ووردت نفس الأبيات أعلاه فى كتاب التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبى العباسى والسبتى لأبى يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات، فى ترجمة أبى زكريا بن يُوغان الصَنهاجى رقم ١٩ ص ١٢٣/ ١٢٤. . علمًا بأن محس الكتاب (أحمد التوفيق) نسب نفس الأبيات إلى أبى بكر سمنون الصّوفى استْنادا إلى: تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٣٦، وإلى طبقات الصوفية ص ١٩٨، وقال الشيبى محقّق ديوان الحلاّج ص ٣٥٢: إنّ فيه نَفَسَ محمد بن داود الأصفهانى (التشوف ـ طبع الدار البيضاء ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

(٢٧) يقول أستاذنا الدكتور شوقى ضيف: إنه ما كاد العصر العباسى الثانى ينتهى حتى تأصّلت فى التصوف فكرة المعرفة الإلهية ومحبّة الله، كما تأصلت فكرة أن الصوفية أولياء الله [راجع العصر العباسى الثانى ص ١١٤]. . هذا وأحسبه يعنى التعبير الفلسفى عن الفكرة، أمّا أصْل الفكرة فموجود فى القرآن الكريم والسنة، وقام بتطبيقه عمليًا رسول الله ﷺ وصحابته.

(٢٨) شذرات الذهب ج٢ ص ١٤٣، والرسالة القشيرية ص ١٤٦.

(٢٩) اللمع ص ٣١٩.

(٣٠) علم القلوب ص ١١١.

ويقول الشِّبلى (المتوفى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) :

وعيْنان قال الله كونا فكانتا فَعُولانِ بالألباب ماتفعل الخمر[٣١]

ويقول أيْضًا: ويْلك يامدعى، كيف يصح لك التوحيد وكلّما ملكت شيئًا ملكك، وكلّما أبْصرت شيئًا أشْكرك؟[٣٢].

ويقول سفيان الثورى: «مازال الحق يسقينى حتى سكرتُ، فلما سكرتُ قال لى: أعَرَفْتَنى؟ قلت: كيْف أعرفك وأنا سكران»[٣٣].

وتقول الشيخ أبو سعيد الخراز (المتوفى سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م):

حَنين قلوبِ العارفين إلى الذكر وتذكارهم عند المناجاة للسِّرِّ
أديرت كئوس للمنايا عليهم فأغفوْا عن الدنيا كإِغْفاء ذى السُّكْر[٣٤]

وتقول إحْدى العارفات بالله المسماة (تُحْفَة):

معشر الناس ماجُنِنْتُ ولكن أنا سكْرانة وقلبى صاحى
أغللْتُم يدى ولم آتِ ذنْبًا غيْر جهْدى فى حُبِّه وافتضاحى
أنا مفتونة بحبِّ حبيبٍ لسْتُ أبغى عن بابه من براح
فصَلاحِى الذى زعمتم فسادى وفَسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحبَّ مولى الموالى وارتضاه لنفسه من جناح[٣٥]

وتقول :

قلبى أراه إلى الأحباب مرتاحا سكران من حب راح بالهوى باحا

---

(٣١) اللمع ص ٣٢٢.

(٣٢) علم القلوب لأبى طالب المكى المتوفى عام ٣٥٨هـ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا - طبع القاهرة سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ص ١١٤.

(٣٣) علم القلوب ص ١١٣.

(٣٤) روض الرياحين لليافعى، ص ٩٩ - طبع المطبعة الشرقية سنة ١٣٣٢هـ.

(٣٥) روض الرياحين ص ٧٦.

ياعينُ جودى بدمْع حوّف هجرهم فربّ دمْع أتَى للخيْر مفتاحا
وربّ عيْن رآها الله باكية بالخوف منه تنال الروْح والراحا
لله عبد جنى ذنْبا فأحْزنه فبات يبْكى ويُذْرى الدمْع سفّاحا
مسْتوْحش خائف مسْتيقن فطِنٌ كأنّ فى قلبه للنور مِصْباحا[٣٦]

وتقول :

مُحِبُّ الله فى الدنيا سقيم تطاولَ سقْمه فدواه داؤه
سقاه من محبته بكأس فأرواه المهيمنُ إذْ سقاه
فهام بحبّه وسما إليْه فليْس يريد محبوبًا سواه
كذاك من ادعى شوقًا إليْه يهيم بحبِّه حتى يراه[٣٧]

ويقول أبو عمر أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيرى (المتوفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):

شربت بكأس الحب من جوهر الحُب رحيقًا بكف العقل فى روْضة الحب
وخامر ماء الروح فاهتزّت القوى قوى النفس شوْقًا وارتياحًا إلى الرب
ونادى حثيثًا بالأنين حنينُها إلهى إلهى مُنْ لعبْدك بالقرْب
وخاطبه وحْيًا إليْه مليكُه سأكشف ياعبْدى لعيْنك عن حجبى
فأعْلن بالتسبيح مثلك لم أجد تعاليتَ عن كفءٍ يكافيك أو صحْب[٣٨]

ويقول اليافعى (المتوفى بعد سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م):

سقى الله قوْمًا من شراب وداده فهامُوا به ما بيْن بادٍ وحاضر

---

(٣٦) روض الرياحين ص ٧٧.

(٣٧) روض الرياحين ص ٧٨.

(٣٨) عصر الدول والإمارات (الأندلس) ص ٣٥٧، والذّخيرة ج ١ ص ٨٤٧، والمغرب ج ٢ ص ٩٥، والصِّلة لابن بشكوال رقم ٨٩.

يظنّهم الجهّال جُنّوا ومابهم جنونٌ سوى حبٍّ على القوم ظاهر
سُقوا بكئوس الحبِّ راحًا من الهوى فراحوا سكارى بالحبيب المسامر
يناجونه فى ظُلمة الليل عندما به قد خَلَوْا منهم (أويْس بن عامر)[٣٩]

ويقول غيْره :

ولما حضرنا بالسرور بمجلسٍ أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار
وطافت علينْا للعوارف خمرة يطوف بها فى حضرة القدس خَمَّارُ
تخامرُ أربابَ العقول بلطفها فتبدو لنا عند المسرة أسرار
فلما شربْناها بأفْواهِ كَشْفِنا أضاءتْ لنا منها شموس وأقمار
رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة وجاءت إلينا بالبشائر أخْبار
وغِبْنا بها عنّا ونلْنا مرادنا ولم يبْق منّا بعد ذلك آثار
وخاطبنا فى سكرنا عند محْونا كريم قدير فائض الجود جبّار
وكاشفنا حتى رأيْناه جهْرةً بأبْصار فهْمٍ لاتُواريه أستار[٤٠]

ويقول عبد الكريم القُشَيرى (+ ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م ـ ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م):

وإذا سقيت من المحبة جُرعة ألقيت من فرط الخُمار خِمارى
كم تبت قصدًا ثم لاح عذاره فخلعتُ من ذاك العذار عذارى[٤١]

ويقــول :

جنِّبانــى المجــون ياصاحبــيّا واتلوا سورة الصَّلاح عليّــا
قد أجَبْنا لزاجر العقل طوْعًا وتركنا حديث سلْمى وميّا
ومنحنا لموجب الشرع نشْرًا وشرعنا لموجب اللهْو طيًّا

---

(٣٩) روْض الرياحين ص ٨٧/ ٨٨.
(٤٠) روض الرياحين ص ١٣٣.
(٤١) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران) ص ٦٢٢، هذا والخُمار (بالضم): بقية السكر. والخِمار (بكسر الخاء): الحجاب.

ووجدْنا إلى القناعة بابًا ... فوضَعْنا على المطامع كيّا
كنتُ فى حرٍّ وحْشتى لاختْيارى ... فتعوضت بالرضا منه فَيّا
والذين ارتووا بكأس مُنَاهُم ... فعلى الصَّدِّ سوْف يلقون غيًّا[٤٢]

ويقول اليافعى المتوفى بعْد سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م :

حميّا برؤيا كأسها سُكْر ناظرٍ ... فكيْف بمَنْ مِنْ تلك بالكأس يشرب
بها شارب للراح كل مشاهد ... جمال جلال ليس عن ذاك يحجب[٤٣]

ويقول المرتضى الشهرزورى (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م ـ ٥١١هـ/ ١١١٧م):

لمعت نارهم وقد عسْعس اللَّيْل ومَلَّ الحادِى وحارَ الدّليلُ
فتأملتُها وقلتُ لصحبى ... هذه النار نار ليْلى فميلوا
وهى تعْلو ونحن نَدْنُو إلى أنْ ... حجزت دونها طلول مُحُولُ
فدنونا من الطلول فحالتْ ... زفرات من دونها وغليلُ
قلتُ: مَنْ بالديار؟ قالوا جريح ... وأسير مكبّل وقتيلُ
فحططْنا إلى منازل قوْمٍ ... صرعتْهم قبل المذاق الشمولُ[٤٤]

ويقول أبو مدْين التّلمسانى (٥١٤/ ٥٩٤هـ ـ ١١٢٠/ ١١٩٧م) :

أدِرْهَا لنا صرْفًا ودعْ مزجها عنّا ... فنحْن أُناسٌ لانرى المزْج مُذْ كُنّا
وغنِّ لنا فالوْقتُ قدْ طاب باسْمها ... لأَنَّا إليْها قد رحلْنا بها عنّا
عرفنا بها كل الوجود ولم نزَلْ ... إلى أنْ بها كلّ المعارف أنكرنا
هى الخمر لم تعرف بكرْم يخصّها ... ولم يجْلها راح ولم تعرف الدنّا
مشعشعة يكسو الوجوه جمالها ... وفى كل شىء من لطافتها معنى

(٤٢) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران) للدكتور شوقى ضيف، طبع دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م، ص ٦٢٣.
(٤٣) روض الرياحين ص ٢١٣.
(٤٤) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية) ص ٤١٢، وديوان الحقائق ج ٢ ص ٤٥/ ٤٨.

حضرْنا فغبنا عند دور كئوسها ... وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا
وأبدت لنا فى كل شىء إشارة ... وما احْتجبت إلاّ بأنفسنا عنَّا
ولم تطق الأفهام تعبير كنهها ... ولكنها لاذت بألطافها الحسْنى
نصحتك لاتقْصد سوى باب حانها ... فمَنْ وجَدَ الأعلَى فلا يطلب الأدنى
موانعنـا منـا حظـوظ نفوسنا ... فإنْ قُطعت عنّا إليها توصّلْنا
تجلّت دنوًّا واختفت بمظاهرٍ ... وجلّتْ فما أغنى ودقت فما أسنى
وما الكوْن إلاّ مظهر لجمالها ... أرتْنا به فى كل شىء بَدَا حُسْنا
لها القدَم المحْض الذى شُفعت به ... بقاءً غدًا يفْنى الزّمان ولايفْنى
يُعيد ويُبدى فعْلُها كل محدث ... وكل قديم فهْىَ قد حازت المعنى
أذاكرها قف عند حدّك واقفا ... بعقلك عمّا حيَّر العقل والذهنا
أتزعم فيما قلتَ إنّكَ صادقٌ ... رويْدكَ ما العرفـان قالـوا ولاقلنـا
لقد رمتَ مالاتستطيع مرامه ... وأنّـى لهـا حـدّ يكفيهـا أنّـى؟
إليها جميع الكائنات مشوقة ... تزيد افْتقارًا وهى عنهن ما أغْنَى(٤٥)

ويقول فى قصيدة مطلعها :

تضيق بنا الدنيا إذا غبْتموا عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منّا

★ ★ ★ ★ ★

فياحادى العشاق قم وَاحْدُ قائمًا ... وزمْزم لنا باسْم الحبيب وروّحنا
وصُنْ سرَّنا فى سكْرنا عن حسودنا ... وإنْ أبصرت عيناك شيئًا فسامحنا
فإنَّا إذَا طِبْنَا وطابتْ نُفوسُنا ... وخامرنـا خمـر الغـرام تهتَّكْنا
فلاتَلُمِ السّكرانَ فى حَالِ سُكره ... فقد رفع التكليف فى سُكْرِنا عنّا(٤٦)

(٤٥) مخطوطة مجموعة بمكتبة الأزهر تحت رقم (٦٢٢) ٧٢١٧، وقد نقلها عنها صاحب كتاب الرمز الشعرى (عاطف جودة) ص ٣٦٠.

(٤٦) قاموس الأناشيد للإخوان الشاذلية اليوسفية، جمع محمد صالح صالح على رزق شرشير، طبع مطبعة الشرق بالقاهرة، ص ٢٢/ ٢٣، والفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ج ١ ص ٥٨.

ويقول السهروردى (٥٤٥هـ/ ١١٥٠م ـ وقتل ٥٨٧هـ/ ١١٩١م) :

لا تسْقنى وحْدى فما عوّدتنى ... أنى أشحُّ بها على جُلاّسى
أنْتَ الكريمُ ولا يليق تكرُّمًا ... أنْ يعبر الندماءَ دورُ الكاسى[٤٧]

ويقول السهروردى :

عودوا بنور الوصْل من غسق الجفا ... فالهجر ليْل والوصال صباح
صافاهم فصفوْا له فقلوبهم ... فى نورها المشكاة والمصْباح
وتمتعوا فالوقت طاب بقربكم ... راق الشراب ودارت الأقداح[٤٨]

ويقول ابن الفارض[٤٩] (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م ـ ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) :

شربْنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يُخْلَقَ الكَرْمُ
لها البدر كاس وهى شمس يُديرها ... هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ... ولولا سناها ما تصوّرها الوهم
ولم يُبق منها الدهر غير حُشاشة ... كان خفاها فى صدور النهى كتم
فإن ذكِرتْ فى الحىّ أصبح أهله ... نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم
ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت ... ولم يُبق منها فى الحقيقة إلا اسم
وإنْ خطرت يومًا على خاطر امرئ ... أقامت به الأفراح وارتحل الهم
ولو نظر النُّدمان ختم إنائها ... لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت ... لعادت إليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فَىْءِ حائط كرمها ... عليلاً وقد أشفى لفارقه السقم

---

(٤٧) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية) ص ٤٠٨.

(٤٨) نفسه ص ٦٢٦. ولمزيد من الأمثلة راجع تاريخ الحكماء للشهرذورى ص ٣٨٤ ـ طبع ليبيا سنة ١٩٨٨م.

(٤٩) راجع ترجمة ابن الفارض فى: تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ٥ ص ٨١، والخطط الجديدة لعلى مبارك ج ١٠ ص٨، وطبقات الشعرانى ج ٢ ص ١١، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢، والوافى بالوفيات للصفدى ج ٣ ص ١٠٥، والفوات ج ٢ ص ٤١٢، وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٥٧٠، وعصر الدول والإمارات لشوقى ضيف (مصر) ص ٣٥٧/ ٣٦١.

ولو قرَّبُوا من حانها مُقْعَدًا مشَى ... وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم
وفوْق لواء الجيش لو رُقم اسْمها ... لأسْكر مَنْ تحت اللوا ذلك الرقم
ولو نال فَدْم القوم لثم فدامها ... لأكْسبه معنى شمائلها اللثم
يقولون لى صِفْهَا فأنت بوصفها ... خبير أجلْ عندى بأوصافها علْم
صفاء ولاماء، ولطف ولاهوا ... ونور ولانار، وروح ولاجسم
تقدَّم كلَّ الكائنات حديثُها ... قديمًا ولا شكل هناك ولارسْم
وقامت بها الأشياء ثمَّ لحكمة ... بها احتجبت عن كل مَنْ لاله فهم
وهامت بها روحى بحيث تمازجا ... اتحادًا ولا جُرم تخلّله جرم
فخمرٌ ولاكَرْم وآدَمُ لى أب ... وكرم ولاخمر ولى أمها أم
ولطف الأوانى فى الحقيقة تابع ... للطف المعانى والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكلّ واحد ... فأرواحنا خمر وأشباحنا كرم
لاقبلها قبل ولابعْد بعدها ... وقبلية الأبعاد فهى لها حَتْم
وعصر المدى من قبله كان عصرها ... وعهد أبينا بعدها ولها اليتم
محاسن تَهدى المادحين لوصفها ... فيحسن فيها منهم النثر والنظم
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها ... كمشتاق نُعْم كلما ذكرت نُعْم
وقالوا شربت الإثم، كلاَّ وإنما ... شربت التى فى تركها عندى الاثم
هنيئًا لأهل الدير كم سكروا بها ... وماشربوا منها ولكنهم همُّوا
وعندىَ منها نشوة قبل نشأتى ... معى أبدًا تبقى وإن بلى العظمُ
عليك بها صرفًا وإن شئت مزجها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
فدونكها فى الحان واستجلها به ... على نغم الألحان فهى بها غُنْم
فما سكنت والهم يومًا بموضع ... كذلك لم يكن مع النَّغَم الغمّ
وفى سكرة منها ولو عمر ساعة ... ترى الدهر عبدًا طائعًا ولك الحكم
فلاعيش فى الدنيا لمن عاش صاحيًا ... ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزمُ
على نفسه فَلْيَبْكِ من ضاع عمره ... وليس له فيها نصيب ولا سهم(٥٠)

(٥٠) قاموس الأناشيد ص ١٣٩/ ١٤١، وديوان ابن الفارض ص ٤٢/ ٤٤ ـ طبع بيروت سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م.

ويقول ابن الفارض فى التائية الكبرى :

سقتنى حُمَيَّا الحب راحة مقلتى ... وكأسى محيا مَنْ عن الحسن حلّت
فأوهمت صحبى أنّ شرب شرابهم ... به سُر سِرِّى فى انتشائى بنظرة
وبالحدق استغنيتُ عن قدحى ومِن ... شمائلها لا من شمولىَ نشوتى
ففى حان سكرى حان شكرى لفتيةٍ ... بهم تمّ لى كتم الهوى مع شهرتى
ولما انقضى صحوى تقاضيت وصْلها ... ولم يغشنى فى بسطها قبض خشيتى
فعندى لسكرى فاقة لإفَاقة ... لها كبدى لولا الهوى لم تفتَّت
فنادمت فى سكرى النحول مراقبى ... بجملة أسرارى وتفصيل سيرتى
فأعجب من سكرى بغير مُدامة ... وأطرب فى سرى ومنِّى طربتى
فيرقص قلبى وارتعاش مفاصلى ... يصفق كالشادى وروحىَ قينتى
تساوى النشاوى والصحاة لنعتهم ... برسم حضور أو بوسم حظيرة
فحى على جمعى القديم الذى به ... وجدت كهول الحى أطفال صبية
ومن فضْل ما اسارت شرْبُ معاصرى ... ومنْ كان قبلى فالفضائل فضْلتى[51]

ويقول محمد بن سوّار بن إسرائيل (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م - ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)[52]:

يامَنْ يشير إليهم المتكلم ... وإليهم يتوجّه المتظلم
وعليهم يحْلو التأسُّف والأسَى ... ويلذّ لوعات الغرام المغْرَم
هذا الوجود وإن تعدّد ظاهرًا ... وحياتكم مافيه إلا أنْتم
وإذا نطقتُ ففى صفات جمالكم ... وإذا سألتُ الكائنات فعنكم
وإذا سكرتُ فمن مدامة حبّكم ... وبذكركم فى سكرتى أترنَّمُ
وإذا نظمت تغزّلا فى صورة ... فلأجل حسنكم المحجّب أنْظمُ

(٥١) الأبيات المختارة أعلاه هى: من التائية الكبرى التى عدد أبياتها ٧٦١ بيْتًا. راجع ديوان ابن الفارض الصفحات ٨٦/ ١٤٤ ـ طبع بيروت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.

(٥٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٣١، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٨٢، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥٩، والوافى ج ٣ ص ١٤٣، وعصر الدول والإمارات (الشام) ص ٢٨٣.

أنتم حقيقة كل موجود بدا ووجود هذى الكائنات توهّم[٥٣]

ويقول ابن كتاكت المصْرى الواعظ المقرئ (المتوفى عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥ م) :

حضَروا فمذ نظروا جمالَكَ غابوا والكلّ مذْ سمعوا خطابك طابوا
فكأنهم فى جنّة وعليْهم من خَمْر حُبّك طافت الأكواب
أنتَ الذى ناوَلْتَنى كأس الهوى فإذا سكرتُ فما علىَّ عتابُ[٥٤]

ويقول الشيخ سعدى الشيرازى (المتوفى سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م) :

يا نديمى قُمْ بليل واسْقِنى واسقِ النَّدامَى
خلّنى أسْهر ليْلِى ودَعِ الناس نَياما
فى أوانِ كشفِ الوَرْ دِ عن الوجه اللثاما
قل لمنْ عَيَّر أهْل الحُبّ بالحُبِّ ولاما
لا عرفتَ الحبّ هيْها تَ ولاذُقْتَ الغراما[٥٥]

ويقول الشيخ برهان الدين بن زقّاعة (المتوفى سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) :

رأى عقلى ولُبِّى فيه حارا فأضرم فى صميم القلب نارا
ألا يالائمى دَعْنى فإنِّى رأيتُ الموتَ حجًّا واعتمارَا
وأهل الحب قد سكروا ولكن صحاكلٌّ وفرقتُنا سُكارى[٥٦]

ويقول سيدى النابلسى (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م - ١١٤٣هـ/ ١٧٣م):

وتناول من يد المحبوب كأس الأرْواح بلْ برْقٌ لموع
حكمها النافذ فى كل الشخوص بعموم فى البرايا وخصوص

---

(٥٣) عصر الدول والإمارات (الشام) ص ٢٨٤.

(٥٤) عصر الدول والإمارات (مصر) ص ٣٤٩.

(٥٥) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية) ص ٦٢١.

(٥٦) المنهل الصافى ج ١ ص ١٥٤، والنجوم والزاهرة ج ١٤ ص ١٢٦، وعصر الدول والإمارات (مصر) ص ٣٥٠.

حضـرة يعرفهـا أهـل الخـلوص مالهم عنها مدى الدهر رجوع[٥٧]

ويقول النابلسى :

ولماشربتُ كئـوسَ الهـوى وذقـتُ المدامـة والقـرْقفـا
أزيلت صفاتى فلا وَصْفَ لى وعنِّى جميعى مَضَى واختْـفَى
ومـا أنـا إلا هُيـولى الـورَى ولمحـة نـورٍ مـن المصـطفى[٥٨]

ويقول أيضًا :

وسـكر ولا سـكر إذا ما شـهدتُها وإنْ حُجِبَتْ عنِّى فصحْوٌ ولاصحو[٥٩]

ويقول النابلسى :

مدام بها الأفراح دامت لأهلها ومن لم يذقْها كل أوقاته غمّ
بها يهتدى الأعمى إليها ويسمع الأ صم وتأتى ناطقين بها البكم
ويأمَنُ ذو خوفٍ ويفرح ذو أسًى ويعتز ذو ذُلٍّ ويبرأ بها السقم
ولو أنهم صبّوا على البحر قطْرة لعاد بها عذْبًا ولو أنّه سُم
ولو أنّهم ذكروا حْول الحطيم صفاتها لزال عن البيت العتيق بها الحطم
ولولا سنا كاساتها من ورا الورى لما كان ذوق فى الندامى ولافهم
وقد سكرتْ حاناتها وكئوسها بها فى تحلِّيها وقد سكر الكرْم
ولو أنّ إنْسانًا صحا لرأى هنا من السكر قدهامت بها العرب والعجم
ومن سكرهم منا يقولون غيْرها وهذا أب قالوا كما هذه أم[٦٠]

ويقول غيره :

خمرنا خمر المعانى عُتِّقت من قبْل آدم ولها نحن القنانى
مـن زمـان قـد تقـادم[٦١]

(٥٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٠.
(٥٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢٧.
(٥٩) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢١٨.
(٦٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٦/ ٨٧.
(٦١) قاموس الأناشيد ص ٦٦.

ويقول النابلسى :

وكل معقولنا كئوس ... وكل محسوسنا شراب
وكل أعدائنا سؤال ... وكل أحبابنا جواب
ونحن حق ونحن خلْق ... ونحن قوْس ونحن قاب
وقد بدا الوجه من سليمى ... وانهتك الستر والنقاب
وراق خمر الوجود منها ... ونحن من فوقه حباب
وحاصل الأمر كل شىء ... غير إله الورَى سراب[٦٢]

ويقول النابلسى :

هذا الطريق الأقربُ ... فخذوا المدامة واشربُوا
وهى الوجود ونورها ... كأس وأنت الغيْهَبُ
والكأس فى يدِ من بَدا ... وهو المليح الأشنبُ
يا أيها النّدمان لى ... حثّوا المطيّة واركبوا
منكم إليكم فالذى ... يدْرى الكلام مهذّب[٦٣]

ويقول غيره :

والطفْ بنا واسْقنا من خَمر أكْئُوسِنَا ... صفاء صرْفٍ من التوحيد مؤْنسنا[٦٤]

ويقول سيدى النابلسى :

لو تجلّى عن ناظريك الغبار ... لرأيت الكئوسَ كيف تُدارُ
ولبانت نار لديك كمابا ... نت لموسى من جانب الطور نارُ
ولزلزلت رسوم ذلك فيمن ... لم يزلْ وانْمَحَتْ آثارُ[٦٥]

---

(٦٢) قاموس الأناشيد ص ٦٧/ ٦٨، وديوان الحقائق ج ١ ص ٤٢.
(٦٣) قاموس الأناشيد ص ٦٩، وديوان الحقائق ج ١ ص ٦٩.
(٦٤) قاموس الأناشيد ص ١١٤.
(٦٥) قاموس الأناشيد ص ١١٦، وديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٣.

ويقول أيضًا :

هـى الحانات والكاسـاتُ تُمْلَى فأسْـقيها القلـوبَ الآمنينـا[٦٦]

ويقول آخر :

ودارت بينهـم كَـأْس المعانـى ونـادمهم وقـد رُفـع الحجـابُ[٦٧]

ويقول النابلسى :

هم الكرْم والعنقود والعاصر الذى له انتسبت أيْضًا وبائعها غُبْنَا
هى الحان والطاسات والكاس والطّلا ودنّ الحميا والذى صنع الدِّنَّا
هى القوم والساقى ومجلسنا على يمين الحِمَى الشرقى والروضة الغنَّا[٦٨]

ويقـول :

أيّهـا القـوم السـكارى بعقـار وهـو دون
خـمر أرْبـاب المعـانـى هـو أعـلى مايكـون[٦٩]

ويقـول آخر :

ومن راحها صرفًا أديروا كئوسكم لتلقوا بها الرحمٰـن والنـور ساطع
فطوبى لمن فى حضرة القرب نالها وقد رُفعت أستارها والبراقـع
ومزقت أثوب الحيا فى جمالها وصرت جليس الحق والحب رافع
بها الأوليا نالوا المعانى بذكرها وكُلٌّ بوادِى القُدسِ للنعل خالعُ[٧٠]

ويقول النّابلسى :

أدر صرفـًا خمـور الأنْـدرينـا على شعث الرجال الأنْدرينا

---

(٦٦) قاموس الأناشيد ص ١٤٤، وديوان الحقائق ج ١ ص ١٧١.
(٦٧) قاموس الأناشيد ص ١٦٦.
(٦٨) قاموس الأناشيد ص ١٧٩، وديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٠.
(٦٩) قاموس الأناشيد ص ١٢٥.
(٧٠) قاموس الأناشيد ص ٣٧٧.

هى الروح التى الأموات تحيا بها فتقوم جمعا طائعينا[٧١]

ويقول آخر :

وفى حانها دارت على كئوسها فصرت بها أسمو على كل ذروة
وما أبصرت عيناى للخمر جامها لأنّ حميّاها لها عيْن حكمة
تلألأ منها كل شىء فلا أرَى سِوَى نورها الوقّاد فى كل وِجْهَةِ
أبارح لى الخمّار منه تفضّلا خباها وصار الشُّرب دينى وملتى
فإنْ شِئْتُها صِرفًا شربتُ وإنْ أشأ مزجتُ لأنَّ الكلَّ فى طَىِّ قبضتى
وإن شئتُ أَطْوِى الكون طيّا وإن أشأ نشرتُ جميع العالمين بنظْرة
شربت صفاء فى صفاء فمن يرد من القوم شربًا لم يجد غير فضْلتى[٧٢]

ويقول غيره :

إذا اجْتمعوا فى خلوة الذكر فى الدُّجَى بمقْعدِ صِدْقٍ والزجاجات دَائِرَهْ
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم إلى ذلك الوجْه المقدس ناظره
فيانفس هذا مشرب القوم فاشربى عسى أنْ تكونى عند ذلك حاضِرَه
وتحظى برؤيا مَنْ بنور جماله غدت ألسُن المراح تتلو مُفاخِرَهْ
رسولٌ أَتى والشِّرْكُ كاللّيْلِ حالكٌ فأجْلَى بأنوار الرشاد دَيَاجِرَهْ[٧٣]

ويقول آخر :

تصاعد أنفاسى إليْك عتابُ وكُلُّ إشاراتى إليك خطابُ
إذا صُحَّ منك الودُّ فالكلّ هيِّن وكلّ الذى فوق التراب تراب
لقد جزتُ قربًا ما ارتقاه مجاهد واسقيتُ كأسًا حلّ فيه شراب
وها أنتَ خمّارى وأنت أنا معًا فما ثَمَّ سِتْرٌ بيْننا وحجاب

---

(٧١) قاموس الأناشيد ص ١٤٤، وديوان الحقائق ج ٢ ص ١٧٠/ ١٧١.
(٧٢) قاموس الأناشيد ص ١٦.
(٧٣) قاموس الأناشيد ص ١٩٨.

فكيف تَوانَى الخلقُ عنكَ وقد بدا ... جمالٌ به قد هامت الألْبـاب
فبعضهم أهدى وبعضهم ارْتدى ... وها أنت كأس بل وأنت شـراب
فحيْثُ أولِّى أنت وجْهى دائمًا ... ووجهك محرابى وفيك أُهاب
أقول لعذّالى مدى الدهر أقْصروا ... فكلّ الذى يهوى سواه يُعابُ
علتْ فرقة سارت إليك فآمنت ... من الخطْب لـمَّا بالمدامة طابوا
فهم فرقة نعم الفريق تنعّموا ... بيوْم(ألسْتُ) العهدَ حين أجابوا(٧٤)

ويقول آخر :

تنزه شرعُ الحبِّ عن كلِّ باطل ... وعنْ كل دعْوى من خلىٍّ مُمَاطلِ
تغزلتَ فى ليْلى وفى الكأس والطّلا ... وحسْن بديع قد علا عن مماثل
ولكنها دعوى وماذُقتَ طعْمها ... وكنتَ عن التحقيق أوَّلَ عاطلِ
عليم ولكن باللسان منافق ... بقلب تردَّى فى ظلام التسافلِ
وتمشى مع الحادى وتطرب مُصْغيًا ... كأنكَ من أهْل الهوى فى التمايل
وتهتز عند الاستماع تغزّلا ... بنشأة طبع بالبعاد معلل
وتغتر من هذا الشراب بباطلٍ ... وتفهم أنّ الحبّ دعوى التذللِ(٧٥)

ويقول آخر :

نسيم الوصْل هبَّ على النّدامى ... فأسْكرهم وما شربوا مُداما
ومالتْ منهمُ الأعْناقُ شوْقًا ... لأنَ قلوبهم مُلِئَتْ غَرَاما(٧٦)

ويقول آخر :

هَيَّمَتْنى تَيّمَتْنى ... عن سواها أَشْغَلَتْنى ... أخْتُ شَمْسٍ ذات أُنس
لا بكأسٍ أسْكرتنى ... فى هواها صِرْتُ عبْدا ... حيثُ جاءت كلّمتنى(٧٧)

(٧٤) قاموس الأناشيد ص ٣٠/ ٣١.
(٧٥) قاموس الأناشيد ص ٣٧٧.
(٧٦) قاموس الأناشيد ص ٤٢٢.
(٧٧) قاموس الأناشيد ص ٤٢٨.

ويقول آخر :

تراءت بلطف جلّ عن فَهْم غيرها ... ووصْف صفاء فاق كلّ لطيفةِ
وأظهرت الأكوان من سر لطفها ... فقيّومها أبْدَى الوجود برحمة
على كلّ نفس قام والعزُّ شانه ... فأبْدى قيام الكون فى كل هيئة
لها عندها فى صفو غيب خفائها ... حيثٌ قديم فى كمال وعزّة
يهيم بها من ليسَ يعْرف سرها ... يرى القرب بُعْدًا فى مظاهر رتْبة
إذا أسْفر المحبوب عن وصْف ذاته ... وأشرق نور الحُسْن فى كلِّ وجهة
ووجه من عذب الخطاب بقول كنْ ... تكون فهِمنا فى الخطاب بلذّة
وصرْنا حيارى فى بهاء جماله ... سكارى به مِنْ وصْف حُسن وبهْجة
فإنْ كنتَ تهوَى أن تفوز بحسْنها ... فدع عنك هذا الوهمَ تظفر بشَرْبَة
ففى قطرة منها شهودُ محاسنٍ ... تجلُّ عن الأوْصافِ من غير مِرْية
وقد ظهرت أنْواع علْم تفصّلت ... ولكن علوم الكون من سر نقطة
ولو ذُقْتَ منها قطرة وتشعْشعت ... لشاهدْت سِرَّ الأمر فى كل هيئة
ويحيا بها من كان فى قبْر وَهْمِهِ ... وتجلو العَمَى عن عين كلِّ بصيرة
وقد أشرقت وتشعشعت وتقنَّعت ... ويزهو بها كرْم الوجود بروْضة
وفى عصرها فى عصرها فى حانها ... تبدّى صفاء ليس يُدرى بفكرة
وكأس صفا قد رقّ من سرلطفها ... به امتزجت والبين زال بوصْلة
ومن لم يذقْها وهو يدْرى بشأنها ... فقد مات فى الداريْن فى وسْط لجّة[٧٨]

ويقول اليافعى صاحب كتاب روض الرياحين :

سكارى ولم يسقوا مُدامًا وإنَّما ... سُقُوا حُبَّ حُسْنٍ جَلَّ عن وصْف واصف
سقاهم من الرَّاح التى من يشمُّها ... تميل به قبل ارْتشاف المغارفِ[٧٩]

(٧٨) قاموس الأناشيد ص ٣٥٦/ ٣٥٧.
(٧٩) روض الرياحين ص ٢.

ويقول عبد الرحمٰن العيدروس (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م ـ ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م) :

أنْعشتْنى خمـرة للغـيْر تمـحو ... فاعْتلالـى بُالهوى القدسىِّ شطْحُ
عـاذلى كـن عـاذرى أو عـاذلى ... أنـا مـن خمـر التجلِّى لسْت أصْحـو
أنـا فـان والفَنَـا عيْنُ البقـا ... فـى رشـا مـن دونـه سـيف ورمـح
هامَ شخصُ القـلبِ مـن خمـر الفـنا ... فهْو من تلك الحميّا ليس يصْحو
أنـا فـى محْـو وصحْـو دائمـًا ... حيث لى فى مجمع البحرين سَبْح(٨٠)

ويقول آخر :

دع عنك تذكار الخليط المنْجد ... والسعى نحو الغانيات الخُرَّدِ
واستغنِ عن سُعْدَى وسلْمَى إنّما ... سعْدى وسلْمى شغْل مَنْ لم يسْعد
وإذا سكرْتَ فنادهم متقهْقرًا ... ياغافلين عـن النّعـيم السْرمـد
أخطأتم وجْهَ الطريق فكلّكم ... حيْران عن مقصود لايهْتدى(٨١)

ويقول سيدى الأستاذ الشيخ عبد المحمود :

فياله من شراب لايزول ولَوْ ... بالموت من ذائق فى الناس صافِيهِ
وإنْ لك الساقى قد ألقى الحديث فقلْ ... عند السّكوت له: ياساقيًا إيه
وإنْ رزقـت كمـالا دَعْ مقارنـةً ... له بشطْح ووهْم أو بتشْبيهِ(٨٢)

ويقول أَيْضًا :

لا تشغل القـلب إلاَّ بالجمـال ولا ... تهـوى سـواه بحـال أو بتنويـه
زر من هناك على الحانات قد عكفوا ... على شرابٍ طهورٍ طَابَ ساقيه(٨٣)

---

(٨٠) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية) ص ١٩٨/ ١٩٩.
(٨١) التشوف إلى رجال التصوف لأبى يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، طبع الدار البيضاء سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.
(٨٢) شرب الكأس ج ١ ص ٧.
(٨٣) شرب الكأس ج ١ ص ٧.

ويقول أيْضًا :

قد عتقت مِنْ قبل أملاكِ السّما ... فى دِنّها فى حضرة الغيب الخَفِى
كـانـت ولاكـوْن ولاكـرْم ولا ... حان ولاشاد بحالى الأحْرف
خمـر بهـا سـكر النبيـون الكـرام ... كذا الملائك سكرةً بتعرّف
رَقّتْ برقّتها الرقائـق وارْتقتْ ... عن وصْف كل مدرِّس ومصنِّف
أَنِسَ الفـؤادَ بذكـرِها وبذكـرها ... كم مالَ نشوانًا به الصَّبُّ الوفِى
قد قُدِّسَتْ وتوحّدت وتغرّدت ... وتلاعبت طربًا بمن قدْ تصْطفى
لم يبق فى نفس الأحِبَّة بعْدها ... غزل بعزة أو هوى بمهَفْهف
وبأيمنِ الوادى المقدّس كمْ بها ... قد قتلت أقوام عشق دونَ فىْ
وانظر إلى السّنطير كم يومى لها ... والجنك والطمبور إيماءً يفَى
لو أنّ راهبها تلافى ديْرها ... إنجيلها لاهْتَزّ كل العُرَّف
ولئن دنوا منها العواذل لحظة ... لتهتكوا سُكْرا بغير تكلّف
لله من خمرٍ ولوْ يومًا على ... حاناتها مرّ امْروء لم يصدَف
لو أنّ كل الناس قد قصدوا أذى ... وردًى لشاربها فلم يتخوّف
تخشى الملوك جميعهم سطواته ... وتطيعُه الأيّام غير توقّف
خمر بها سكرتْ أئمة نهْجنا ... كجنيدهم مولْى الفيوض الأظرف
والأربع الأقطاب ثم إمامنا ... (السّمان) ثم (الطيب) المتصرف
خمر بها كم جُنَّ ذو شوقٍ وكم ... أعمتْ وأصْمَتْ من فتى يتألّف
كم ذلّ ذو عزٍّ لها ومكانة ... علْيا ومن مَلِك ومن مستنكف
وهى التى لعبت بأبْناء التّقى ... والصّالحين من الورَى بتظرُّف
ياويْحَ مَنْ فى هذه الأيّام لمْ ... يشرب بألحان كئوس القرْقف
أرِدِ المعالى كىْ تفوزَ بشرْبها ... معْ كلّ صوفىٍّ وكل معرِّف
واجْرِ الدموع تعشقًا لوصالها ... واصْحبْ لعزْم قاطع كالمشرفى
وانْبذ سواها خلْف ظهرك كلّه ... ولَدَا القدوم ببيْت عزّتها طُف

وإذا رأيتَ الساقى قل ياساقى الأ ... قوام مُنَّ على محبِّك واتحْف
خُذْ ما استطعت هناك بين رجالها ... واكْتم ولاتُبْدِ لأمرك واختْفِ
حتى يلوح لعين قلبك بارق ... من طور سيناء التجلِّى الأشرف
أظهَر ولا تَخْشَ عداوة حاسد ... كلاّ ولا تعنيف فيه معنف
هيّم وهِمْ طربًا وَغَنِّ ذا هلاً ... بالرقمتين وبالمليحة عرِّف
واسْجدْ لربك ناظرًا لجمالها ... حتى سواها عن شهودك ينتفى
لاحت بنور جمالها وتحجّبتْ ... بجلالها وكمالها المستشرف
من أين تدركها النفوس ومالها ... وصف به أهل المحبة تكتفى
عجبًا إذا أحصيتها تبدو وإن ... أظهرتها بعبارة هى تختفى
شمس إذا ظهرتْ فلا يبقى سوى ... أنوارها فى أعين المتصوف
لا كالشموس إذا بدتْ ونهارها ... مابعده ليْل ولم تتكسف
آهِ على ذاك الحمى وحديثه ... وبدوره مَن نورُهم لم يُخْسِف
مالى سواه فغنِّنى بحديثه ... لكن بحسن إشارة وتلطف
إنّ الإشارة عند أرباب الهوى ... أَحْلَى وأعذب من أحاديث بفى
لا تسقنى معنى الحروف فإنّنى ... عن كلِّ معنى بالإشارة مكتفى
واكْتُبْ بأقلام الغرام بمهجتى ... سِرَّ المحبةِ بالدموع الذرّف
وإلى الحمَى أو حان تلك أحبتى ... سِرْ بى عسى بالوصْل لهْبى يَنْطَفِى
جسمى مريض بالهَوى وحشاشتى ... كادت تذوب جوى بعشق متلف
أصبحت فى طرق المحبة ذاهبًا ... لم أدرِ لى بين الورى من مسعف
إن الصبابة فى الفؤاد عجيبة ... كم أمرضت ولكم بها أحد شُفِى
لكئوسها سجد الزمان تذلّلا ... وتخضُّعًا بتولّه وتعطّف
لكئوسها سرٌّ إذا سُر الفتى ... يومًا به أضحى مليك تصرف
للكأس أسرار عجيب وصْفها ... قد حيّر الأولى وكل مؤلف
عجبًا لمن جهلوا الكئوس وشربها ... وبما لها من قعْدة من موقف

سر تُسَر به النفوس وتزْدَهِى ... ولحبها تبدى لأمر قد خفى
علم علوم الفكر تحت لوائه ... فتكاد وهى تُجِلّه بالمصحف
يأتى من الحضرات فى غسق الدُّجَى ... للقائمين بخشية وتقشف
إن رُمْتَ أن تحظى به بادِرْ إلى ... أربابه وعلى شرائطهم قِفِ
تجد المراد وترتقى أوْجَ العلا ... وبساط سر الفتح نور الرّفْرَف
واسجُدْ لربّك عند ذلك شاكرًا ... وعلى الدويْر مع القساسيس اعْكُفِ(٨٤)

ويقول سيدى الأستاذ الشيخ عبد المحمود :

لله در كئوس طالمت زهدت ... لها المريدون للأموال والحشم
لله در كئوس لو رآها فتى ... فى أُذْنه صمم لا انفكَّ عن صمم
لله در كئوس عند شرْبتها ... قد تنطق البكم حالا بعد ما البكم
لله در كئوس لو سُقيها فتًى ... لأبصر الخَلف كشفًا مثل ما الأمم
لله در كئوس كم بها نظرت ... أُولُو الشراب لهذا اللوح والقلم
لله در كئوس من جلالتها ... تسْعى الرجالُ لها مع حسن زهدهم
لله در كئوس كم لها خضعت ... ملوك دهر من العربان والعجم
ياويح من لم يكن سار لها شغفًا ... معرّسًا بمطايا العزم فى الخِيَم
ياويح من لم يذقها فى الزمان ولم ... يَرَى أُصيْحَابِهَا كالبدْر فى الظُّلَمِ(٨٥)

ويقول سيدى الأستاذ أيضًا :

اقربْ لحاناتنا واشربْ معتّقةً ... ضياؤها فى ظلام اللّيل كالسرج
هامت بها القوم من يوم الخطاب وقد ... نالت بشرْبتها العالى من الدرج
مدامة يالها من خمرة وسعت ... كل الجوارح بالنور البَهِى البلج

(٨٤) شرب الكاس ج ١ ص ١١- ١٤.
(٨٥) شرب الكاس ج ١ ص ١٢٢.

مدامة يالها من خمرة نزعت عن الصّدور لكل الهمِّ والحرج[٨٦]

ويقول سيدى الأستاذ الشيخ عبد المحمود :

من لم يذق كأس المدامة ويْحه بقعوده عن فتية التشريف
أهْلاً بكأس طريقنا أهلاً بها فى هذه الدنيا ويوم وقوف
أهلاً بكأس الحان كم لعبت مسوّد ومهذّب غطريف
لازال سكّان السما يهدونها والأرض مِن مشروفهم وشريف
لو شامها يومًا معنِّفُ أهْلها أضْحى على ندم من التعنيف[٨٧]

ويقول سيِّدى الأستاذ الشيخ عبد المحمود :

أدِر الكئوسَ على المحبِّ ظلاما ياساقيًا واسْكِر بها الأقْواما
غَنَّ بحان شرابها طربًا ولا تَخْشَ ملامة من بذلك لاما
هى نورُ حَق ساطع بحقيقة تغنى النفوس وتذهب الأوهاما
هى سرٌّ سرٍّ للسرائر عامرٌ هى خير معنى يُدهش الأحلاما
هى نور أنوار تقدَّس وصفها بشرابها رقصَ المحب وهاما
هى غيْبُ غَيْبٍ ليس قَطُّ ينالها إلاّ فَتًى فى ليْله ما ناما
هى قهوة الأرواح والسر الذى جعل الذى فازوا به أعلاما
هى خمرة لا عيْبَ فى قوم هُمو قد أكثروا نثرًا بها ونظاما
فى العمر لم يظفر بها غير امرئ من نفسه قد كسَّر الأصناما[٨٨]

ويقول غيره :

قد صفا وقتنا وراق الشراب وتجلّت لنا وزال العتاب
خمرة عتقت لنا من قديم يالها خمرة وفيها الصواب

(٨٦) شرب الكأس ج ٢ ص ٥٧ .
(٨٧) شرب الكأس ج ١ ص ٩٧ .
(٨٨) شرب الكأس ج ١ ص ١١٦ .

أشرقت أبرقت أضاءت أنارت عُتقت رُوِّقت فطابت وطابوا
هيا بنا ياندیمی نحظَی بوصلها هيا بنا قد نامت الحجّاب[٨٩]

ويقول سيِّدی الشيخ قريب الله :

خمرة الخندريس اسْقنی كأسها خالصًا ياجليس اسْقنی كأسها
خمرة الأنْبيا اسْقنی كأسها مُبْرِئًا للعيا اسْقنی كأسها
خمرة المتقين اسْقنی كأسها من مدير أمين اسْقنی كأسها
يالها من طلا اسْقنی كأسها فهو خمر حلا اسْقنی كأسها
عُتّقت من قديم اسْقنی كأسها من خبير عليم اسْقنی كأسها
خمرة الإِصْطلام اسْقنی كأسها فهو نعم المدام اسْقنی كأسها
فهو فيه الغنا اسْقنی كأسها والبقا والفنا اسْقنی كأسها
وهو عين النّعيم اسْقنی كأسها والهنا المستديم اسْقنی كأسها
نالها ذو الوفا اسْقنی كأسها من يد المصطفى اسْقنی كأسها
أسْعدتْ من أتى اسْقنی كأسها ديْرها يافتى اسْقنی كأسها[٩٠]

ويقول :

اغسل الأَرجاس واسْقنا بالكاس واذْهِب الإفلاس وانبت الأعشاب
ثبِّت الإيمان بالشراب يادان أنت ذو الإحسان مسعف الطلاّب[٩١]

ويقول سيدی الشيخ قريب الله :

سَرَتْ قوْمی إلى المحبوب فأسْقَاها لذيذ الكُوب حميًّا صافی المشروب
فيا لله أقوامی
وألبسها بأنْوارِ وعمّرها بأسْرارِ فصارتْ مثْل أقمارِ
عبادًا قدرهم سامِی

(٨٩) قاموس الأناشيد ص ٣٩١.
(٩٠) رشفات المدام ص ٤٠٣.
(٩١) رشفات المدام ص ٢٥.

جمـــال الله حـــلاّهـا وحسَّنهـا وأَغْـلاهـــا وبالترحيـب جَـلاَّهـــا
وخصّصهـا بـإنعـــام

عبـادًا طَلَّقـوا الدنْيـا فليْس لهـم بـها مُنْيَـا لهـم فى الحضْرة العُليا
محـادثـــة بـإكـــرام

حباهم بارئُ الأُنْس بأنـواع مـن الأنـس لهـم فى حضرة القُدس
منـادمـــة بـإنعـــام

بها كاساتهم دارتْ لهـا أرواحهـم طـارتْ وفى الملكوت قد سـارت
دوامـًا أجْرُهـا نامـى

رضا الرحمٰـن والاَهُمْ وصابحهم وماساهم ورحمة رب تغشاهم
دوامـًا عـدّ أيّـام(٩٢)

ويقول :

تْـركُ المسـافرِ للدَّنِـيَّة واجـبٌ إذْ حُبُّـها خطـأٌ وسـورٌ حاجـبُ
سـافرْ لـه برضـاك تظفـر بالـذى ترجـوه منه ففى الطريـق عجائب
والقـوم قبـلك سـافروا فحباهمُ فـوق الـذى يبغـى المريـد الراغب
فسـاقهـم مـن خندريـس جمـاله وبـدت لهـم منـه هنـاك غـرائـب
فتهتكـوا فرحـًا بطيـب وصالـه وعلتهم الأحـوال وهـى رغـائـب
ويُـراد بالسـفر الجهـاد حقيقـة ممـا بـه يصفـو المريـد التائـب
كالجـوع والسـهر النزيـه وعزلـة والصمت والذكر المدام الراتب
يفضـى لحانـات وحسـن مـوارد لاتقعدن عنها فتلك مشارب(٩٣)

ويقول :

سـتنْهـض للكريـم نهـوضَ عـزٍّ بـه تُجْـلَى وتنقشـعُ الكـروب

---

(٩٢) رشفات المدام ص ٤٤٦/ ٤٤٧.

(٩٣) رشفات المدام ص ٢٧.

وتكرم بالعبور إلى جناب منيع العز مغناه رحيب
وتشرب عنده خمرًا طهورًا به تُشْفَى إذا عجز الطبيب[٩٤]

ويقول :

سفح الدموع إلى حماك فلاح فاز الذين إلى جمالك ناحُوا
أدْرِك بحقهم عُبَيْدًا مقعدًا والقلب منه إليكمو طَمّاح
وأمُرْ سُقاتك تسْقِه من خمرة سكرتْ بها الأرواح والأشباحُ
يامنَ إليك السابقون تعطّشوا فحبوْتَهم بالوصْل وهو الراح[٩٥]

ويقول :

عاد السرور وخيّمت أفراحى يانعمتى بمدامة الأرْواح[٩٦]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله :

الذكر عيد أعيدوا وقت أعياد وليْلة الجمع فيها الرى ياصادى
تعالَ واشربْ شرابَ الراح واجْلُ به صداء قلبك واسْمع نغمة الحادى
وافرحْ بربك خلِّ الغيْر منتقدًا عليْك جهلا بإنكار وإلْحاد
فلم يذق طعم ماقد ذقْت من عسلٍ ولا أضاف غريب الطور والوادى[٩٧]

ويقول :

أيّها الصُّلاَّح جودوا بالإصلاح أسكروا الأرواح من شراب الراح
جودا بالإدمان من طهور الحان خمرة الرحمٰن فالق الإصباح
خمرة الأقوام تطرد الأوهام كم بها قدهام هائم صيّاح
خمرة الوهاب تُسكر الأحباب من ذوى الألباب كم بها من باح

(٩٤) رشفات المدام ص ٢٩.
(٩٥) رشفات المدام ص ٨١.
(٩٦) رشفات المدام ص ٨٣.
(٩٧) رشفات المدام ص ٩٥.

بغـية الطـلاّب كم بها قـد طـاب فاسـقٌ مرتـاب فاهْتـدى وارْتـاح
خندريـس كـانْ حيـث لا أكـوان كـم بهـا السـمّان أسْـكر الأرواح
خندريـس القـوم منها طيْب القوم قـد سـقا للـتوم كأسـها الفضّـاح
خندريـس الحـى ساعها ذو الطىِّ كـم بها ذو الغىِّ نـوره وضَّـاح
كم بها قد سار تائـه محتـار إنهـا الأنـوار أوضحت إيضاح
كم بها السادات خرقوا العادات أحْيُوا منْ قد مات منهـا بالفتَّـاح
أَمَّ ذو التهـليـل دَيْرَهَا فـى اللَيْـل سـائرا كالسَّيْل يطـلب الأربـاح
أَمَّهـَا المشتـاق قائمـًا بالسَّـاق خلَّى بالإطـلاق نفسـه وارتـاح
طـلّق الأكـوان فـارق الإخـوان يبْتـغى الرحمـن فـاز بالإفـلاح
دمْعـه هَطَّـال قلبـه بَلْبـال سـالك المنـوال طـرفـه طمَّـاح
همُّـه الأُخـرى أرضـه مطـرا ريحـه عطْـرى طيبها قد فاح(٩٨)

ويقول :

هـذه الأعمـار دأبهـا التّسـيْار نحْـو تـلك الدَّار والغـبى المحتـار
ظـن لا ينْـزاح
كن أخـى سَمَّاع للحِمَى ملتـاع وارقـبِ اللمَّـاع فيـه كـنْ طَمَّـاع
كلمـا قـد لاح
يمِّـمن طيْبـا تشـرب الصهبـا واسـأل الحِبَّـا يعطـك الحُبّـا
فى النـبى المفتـاح(٩٩)

ويقول :

ياسعد عَرِّجْ على الركبان مختبرا عنْ وفْد قومك هل حَسُّوا لهم خبرا
فإنْ أجابوك سَلْهُم هل رسوا زمنًا أم واصلوا السير إدلاجًـا بغير كرا(١٠٠)

---

(٩٨) رشفات المدام ص ٨٢.
(٩٩) رشفات المدام ص ٨٣.
(١٠٠) رشفات المدام ص ١٥٥/ ١٥٦.

ويقول :

رُفعتْ راياتكم فاستبشر ... قد علتْ بالفضْل فوق المشْترى
طعْم هذا الكأس طعْم رائق ... إنّه والله فوْق السّكّر
عَرْفُه المنشوق عَرْفٌ مُسْكِرٌ ... ريحُه قد فاق ريح العنْبر
خمرة الأقْوام طام بَحْرُها ... وعميق حار فيه (الصرْصرى)
أسَدٌ من عام فى أمْواجها ... سالكًا نهج الإمام الأكْبَرِ
إنْ تردْ ياصاحِ أنْ تشربَها ... لازِمِ الأوْرَادَ وقْت السّحر
بحضور ثم قصْد صالح ... بعْدها لُمْنى إذا لم تسْكر
لاتبالوا يامريدين العُلاَ ... بشراب الخندريس الأطهر
فاز من يُسْقاهُ فوْزًا ظاهرًا ... فازَ فى الدنْيا ويوْم المحشر[١٠١]

ويقول :

فاضت الأدنان والهنا قد حان ... يامدير الحان اسْقنا خمرا
خمرة الجريال ترقص الأبْطال ... اسْقنا ياخال كأسَها بِكْرا
أيّها العُذّال عَذْلكم قد طال ... نحْن عن ذا الحال لم نجد صبْرا
خلِّ عنك اللوم أيّها المحْروم ... إنّ سرّ القوم آية كبرى
والطِّلا إنْ راق يفْضح الحذّاق ... هكذا الأشْواق تهتك السِّترا
إن تردْ برْهان كنْ على إذْعان ... وادْخُلِ الميْدان والْزم الذّكرا[١٠٢]

ويقول :

دَعِ الكل خِلِّى واذكر الله جهْرة ... وإنْ قال فيك الناس جُن ولم يدْر
دَعِ الناس واشرب خندريس جماله ... بأكواب شمّاس يطيب بها سكرى[١٠٣]

---

(١٠١) رشفات المدام ص ١٦٠.
(١٠٢) رشفات المدام ص ١٦٢.
(١٠٣) رشفات المدام ص ١٦٥.

ويقول :

أيـا فـــلاّح العـرْف فـاح ساقى الـراح سقى الأرْواح
أيـا عشـــاق طـلاكـم راق مـن الخـلاّق مـلا الأقْـداح
أيـا سـهران مـدام الحـان مـن الرحمـن بـه الأفـراح
أيـا ظمـــآن وجـدت الآن مـن الألحـان حـدًا فضّـاح
فَهِـمْ وَاسْكَرْ بذكـر الـبَرّ كمن أبْصَـرْ لـه وارتـاح[١٠٤]

ويقول :

سلْب الإرادة مسْلك العبـاد وهـو الطـريـق نتيجـة الأوْراد
فالْزمْ هداك الله طرق رشاده وكسـاك أثوابـًا مـن الإرْشـاد
وارجُ ولا تيأسْ وإنْ طالَ المدَى وابْسُـط أكفـك للكـريـم الهـادى
لابـدّ مـن يـومٍ بجـودك ديمـة مطّـارة بالفيْـض والإمـداد
وتشيم برقًا من حمى عطفاته جذبـت إليـه أعنـة الشُّـرَّاد
وكذلك شرب منْ طلا كاساته أرْوى قديمًا كـلّ قلـب صـاد[١٠٥]

ويقول مخمسًا لقصيدة الشيخ الحسين ولد زهرا :

ياصـاديًا لمدامـة الخمّـار غرثـان سـار طـالـب الآثـار
مستخبرًا عِلْمًا بربِّ الـدّار رِدْ فى بحَار العـلم والإسـرار
بنجـائب الأوراد والأذكـار
ولنزعَ خوفك فوْق أنْ ترعى الرجا وقم الليالى لاتَنمْ وقت الدُّجَى
لا تخْشَ من ضرر ولاتشك الوِجَى ودع التَّكَاسُل عند أوقات الإِجا
بَةِ فالمعارف فى دُجَى الإِسحار[١٠٦]

(١٠٤) رشفات المدام ص ٨٥/ ٨٦.
(١٠٥) رشفات المدام ص ٩٣.
(١٠٦) رشفات المدام ص ١٥٢.

ويقــول :

ألا فاسْقنى كأسَ المدامة والخمر ... إلى حالة فيها الفناء عن الغَيْرِ
وغَذِّ فؤادى من نعيم غذائها ... فصحَّة قلبى فيه ياصاحِ لوتدْرى
وسَلْ طيِّبِ الأقوام يأتِ بشرْبَة ... على سُرعة إنّ الجَفَا حلّ فى سرى
وعطفًا مدير الكاس فالعطْف شأنكم ... وجُودُوا بإحسانٍ يزول به ضُرِّى[١٠٧]

ويقول :

مواسم الخير جاءت فارْحم الفُقَرا ... يادائمَ الفضْل يا مَنْ لا يُرَى ويَرى
ولتسْقهم خنْدريس الحبِّ من يدكم ... حتى يغيبوا بها عن غيركم سكرا[١٠٨]

ويقول :

أنِخْ طالبَ الأحباب فى شعب عامر ... بباب الولى إسْماعيل ربّ الأوامر
فتى نال بالإدلاج أقْصَى مُرادِه ... مِنَ الله إذْ قد كان أسرع عابر
وأكرمه الله الكريم بفضْله ... وقال له أهلاً وسهلاً بزائرى
أقِمْ عندنا نُولِيك منّا كرامةً ... بأنواع فيْض لم تمر بخاطرِ
ونسقيك من حاناتنا كأس خمرة ... بهاهام أهْل الله أهْل الحضَائر[١٠٩]

ويقول :

اسْقنى خمرًا شعْشعتْ فى الكاس ... لاتغادرنى أيّها الشمَّاس
اسْقنى صرفًا وأسْكِرِ الجَلاَّس ... كىْ بها عنا تذهب الأرجاس
عطفة منكم أيها السمّان ... بحرك الفياض يروى للظمآن
نهلة منكم تشمل الإخوان ... تُفْنهم حسًّا عن شهود النّاس
نحن محسوبون لك ياجيْلان ... أنتَ مولى الكل أيّها السلطان

(١٠٧) رشفات المدام ص ١٥٢.
(١٠٨) رشفات المدام ص ١٩٨.
(١٠٩) رشقات المدام ص ٢٠٢.

إننى ظامئ جئتكم غرثان ... طهِّرنْ قلبى واغْسل الأدناس
جئنا عنْد الباب دمعنا هطّال ... نبْتغِى فضْلا خمْرة الجريال
صَلِّ ياربى للنبى المحبوب ... واشملنْ آلاً والذى منسوب
واسكر الذكّار من شراب الكوب ... واقبلن حمدى مدة الأنفاس(١١٠)

ويقول سيدى الشيخ محمد ماضى أبو العزائم عن الراح التى تدور مثنوية بين العبد وربِّه :

طهور الراح دارت مثنوية ... بلا لبس لأهل السابقيّة
سكرت بها بحان القرب لَمّا ... محو رسْمى بآى الواحديّة
فغبت بها وفى غيبى حضورى ... لأن الكشف آى معنوية
محا نورُ التجلّى فىَ رسْمى ... بسر الاجْتِلاَ فى الأولية
غشت أنْوارهُ سدرة ذاتى ... فكنتُ ولا مكان ولابرية
ولاصبح يلوح ولا مساء ... ولا عرش يلوح لدى العطية(١١١)

ويقول :

سقونى وقد رفعوا البراقع عن حُسْنٍ ... فزالت لديها بالصفا نقطة الغين
طهوراً من الإحسان عند شرابه ... تلوح لى المجلى يشير إلى العين
فغيَّبنى هذا الشراب لأنَّنى ... تحقّقت محو الصاد والسين والبيْن
ولم يبقَ إلاّ الوجه جلّ منزّها ... محيطًا بلا حجْب يرى جلّ لا كون
أحاط بآفاقى بأنوار وصْفه ... ولاح لذاتى مشرقًا لى بلا لون(١١٢)

---

(١١٠) رشفات المدام ص ٢١٧.

(١١١) السر الأعظم لمصطفى محمود، طبع دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م ص ٧٤.

(١١٢) السر الأعظم ص ٧٤/ ٧٥.

ويقول :

روض أنسى صـار أزْهـر ... وصفـا ليْـلى وأقْمـر
ودنـا مـنِّى حبيـبى ... صفـوة الكـنز المجـوْهـر
وسـقانـى الـراح صِرْفًا ... بعـد أنْ حيّـا وكـبّر[113]

❑ ❑ ❑

(١١٣) الإمام محمد ماضى أبو العزائم . . حياته جهاده آثاره، تأليف عبد المنعم محمد شقرف ـ القاهرة، سنة ١٩٧٢م ص ٩٨ .

obeikandl.com